# إثراء التراجم بالمادة الأدبية

# في كتاب (أعلام ليبيا) للشيخ الطاهر الزاوي[1]

بقلم: د.عبد الستار العريفي سالم بشّيه

**قسم اللغة العربية - كليه الآداب – طرابلس**

إن إثراء كتب التراجم بالمادة الأدبية شعرا ونثرا، ونقدا، ظاهرة عامة فيها يأتي بها المؤلف لأسباب منها الاستشهاد أو الاستطراد، وفي هذا الوريقات يحاول الباحث كشف اللثام عنها في كتاب أعلام ليبيا.

حاول الشيخ الطاهر الزاوي أن يثري تراجمه ببعض النصوص الأدبية، كلما سنحت له الفرصة، وبخاصة إذا علمنا بأن الشيخ الزاوي رجل يميل إلى الأدب من خلال اهتمامه بتحقيق بعض النصوص كديوان المدائح النبوية المنسوب للشيخ أحمد البهلول، كما نتبين أنه ذواقة للشعر من خلال ما اختاره من نصوص شعرية أوردها في بعض مؤلفاته، وما أضفى على بعضها بنظرات نقدية بين الحين والآخر، أصالة عن نفسه، أو نقلا عن غيره من الكُتَّاب والنقدة، ويعد إثراء التراجم بالمادة الأدبية بذكر نتاجهم الإبداعي الأدبي، ملمح تكتمل به ملامح الشخصيات المترجم لها، فتضيف إلى الترجمة لمسات فنية جميلة من خلال مايوردها منها، ويطرد بها الملل عن القارئ أحيانا.

وبداية نعرض الموقف العام للشيخ الزاوي في كتابه أعلام ليبيا من إثراء الجانب الأدبي في تراجمه، من إيراده النصوص الشعرية، أو ما قدمه من نقد يرفع من قيمتها الفنية وقيمة أصحابها، أما النثر فلم يكن له نصيب من نظرات الشيخ الزاوي وأحكامه النقدية.

اهتم الشيخ الزاوي بإثراء الجانب الأدبي في ثمان وخمسين ترجمة من مجموع خمسمائة ترجمة وردت في كتابه الأعلام، وإثراء هذا الجانب فيها يرجع إلى حالة المترجم له، فكان منهم الفقهاء، والمحدثين، أو مما لا عناية لهم بالأدب وإبداعاته، ومع هذا فقد ذكر في بعض تراجم الفقهاء شعرا في الحكمة، أو الزهد، أو ما شابه ذلك من غرض، ويذكر في بعضها البيت والبيتين، ونراه يثري هذا الجانب الأدبي خاصة في تراجم الشعراء، فيذكر مختارات من شعرهم، بلغ عددها إلى ستة عشر وخمسمائة بيت، توزعت على أغراض الشعر العربي المعروفة من غزل، ومدح، ومديح نبوي، وحكم وأمثال، وسياسية وغيرها، كما شاركت فنون النظم في هذا المجموع فمن الشعر القريض إلى فن الموشحات، والدوبيت، والزجل، وكان بعضها من الأبيات المفردة،

(1) انظر: مجلة اللسان المبين، قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة طرابلس-ليبيا، ع8، 2012م، ع9، 2013م.

والثنائيات، والمقطعات، والقصائد، والأراجيز، والمخمسات، وجاء بعضها استشهادا من الشعر القديم وهو قليل نادر، والآخر من إبداع أصحاب التراجم.

ومما قدمه عن سبيل **الاستشهاد أصالة** عن نفسه ما ختم به ترجمة (محمد الفقيه حسن) بيانا لمكانته وقيمته في المجتمع، فجاء بقول الشاعر الجاهلي حاتم الطائي:[2]

وتــذكَرُ أخــلاقُ الفَتَــىٰ وعِظامُــهُ مغيَّبــةٌ فــي اللَّحــدِ بــالٍ رميمُهــا
ومنْ يبتدعْ ما ليسَ من خيْمِ نفسِهِ يدعْــهُ ويغلبْــهُ علــىٰ الــنَّفسِ خِيمُهــا

أما النوع الثاني فهو **ما كان يرد على ألسنة أصحاب التراجم** في حوادث وقعت لهم، منها: استشهاد بعضهم بقول الإمام الشافعي:[3]

أنــا إن عشــت لســت أعــدم قوتــا وإذا مــتُّ لســت أعــدم قبــرا
همتــي همــة الملــوك ونفســي نفــس حــرٍّ تــرىٰ المذلــة كفــرا

أو ما استشهد به أبو علي الهواري، وقد أركبه الأمير علىٰ حمار وطيف به بالمهدية، من قول الشاعر:[4]

هَكَــذَا فِــي البِــرِّ يُفْعَــلُ بِــي كَيْــفَ لَــوْ زَلَّــتْ بِــي قَــدَمُ

كما ذكر بيتا كان يكرره الشيخ البهلول عندما قدم من هو أقل منه علما وفضلا للفتوىٰ في مدينة طرابلس، فكان يقول:[5]

يَحْسَــبُهُ الْجَاهِــلْ مَــا لَــمْ يَعْلَمَــهْ شَــيْخًا عَلَــىٰ كُرْسِــيِّهِ مُعَمَمَــا

ومما ذكره أن الشيخ محمد البكوش كان كثير الاستشهاد بالبيتين المشهورين في استعارة الكتب:[6]

ألا يامســتعير الكتــب دعنــي فمحبــوبي مــن الــدنيا كتــابي
ففــي تحريــره أفنيــت عمــري وفــي تحصــيله أفنيــت زادي

**ومما اختاره** لبعض مترجميه، أبيات أبي الحسن الودَّاني المشهورة:[7]

مــن يشــتري منــي النهــار بليلــة لافــرق بــين نجومهــا وصــحابي

(2) أعلام ليبيا، ص400، ديوان حاتم، ص 25
(3) أعلام ليبيا، ص29، ديوان الشافعي، ص44.
(4) أعلام ليبيا، ص38.
(5) أعلام ليبيا، ص74، من شواهد الكتاب، لسيبويه، 516/3.
(6) أعلام ليبيا، ص378. ولهما رواية سمعتها من أستاذي د. هاشم الشريف، ولم أقف علىٰ مصدرها، وهي قول الشاعر:
ألا يامستعير الكتب دعني فإن إعــارتي للكتب عار
فمحبوبي من الدنيا كتاب وهلا أبصرت محبوبا يعار
(7) أعلام ليبيا، ص37.

دارت علىٰ فلك السماء ونحن قد  درنا علىٰ فلك من الآداب
ودنا الصباح ولا أتىٰ وكأنه  شيب أطل علىٰ سواد شبابي

أو قول بن عبد السلام التاجوري في كرم أهل طرابلس:[8]

لأهل طرابلس عادة من  كمال تنسي الغريب الحميما
حللت بها مكرها ثم إذ  أقمت بها أبدل الهاء ميما

ويقصد من قوله: (أبدل الهاء ميما)، هو إبدال هاء كلمة (مكرها) من قوله: (حللت بها مكرها)، فتصير: (أقمت بها مكرما).

ومنها اختيار أبيات الشيخ إبراهيم باكير في محبة الرسول ﷺ:[9]

ياعذولي لاتلمني  وامش عني بالسلامهْ
كل شيء غير حبي  قد سلا قلبي غرامهْ

واحتفظ برواية بعض ألفاظ النص برواية غير المستعملة بين الأدباء ومؤدي القصائد النبوية في مدينة طرابلس وغيرها: (ياخلي البال دعني)، كما أفاد القارئ بقصة نظم هذه الأبيات.

ومما ذكره مما نتبين به الحركة الأدبية في طرابلس تلك المطارحة الارتجالية التي رواها عن الشيخ محمد عبد السلام[10] قائلا: ((اجتمع بعض أدباء طرابلس، وهم: السيد أحمد الفقيه حسن[الجد]، وفريد باشا، والشيخ عبد الرحمن البوصيري، والشيخ خليفة البلبالي، فقال أحدهم:

**رشأ صاد فؤادي  بسهيم قد رماه**

فقال الثاني:

**دمع عيني صار واد  لست أدري قد ماه**

فقال الثالث:

**خاله سلطان حسن  فوق كرسي الخد تاه**

فقال الرابع:

(8) أعلام ليبيا، ص55.

(9) أعلام ليبيا، ص30. مخطوط سفينة الأفراح، الميلادي ص33.

(10) ربما يكون محمد بن عبد السلام المصراتي (ت1954م)، ترجم له في ص351، والنص من فن الإجازة الشعرية أو التمليط، وهو أن يبدأ شاعر بشطر بيت فيكمله غيره، بطلب منه أو بغير طلب، وقد تكون الإجازة علىٰ الشطر والبيت، كما هو وارد في كتب الأدب والنقد، انظر الإجازة: العمدة 90/2، وميزان الذهب في صناعة شعر العرب: ص141.

**وبجفنيـــــــــه جنـــــــــود حاجبـــــــــاه حاجبـــــــــاه**

والعهدة عليه))[11]

واختار مجموعة من الثنائيات ومن الرباعيات، فالثنائيات قد تكون مختارة من مقطعات أوقصائد، أما الرباعيات ما بنيت على طريقة الرباعيات المعروف بالدوبيت في وزنيها الفارسي والعربي[12]، أو محاولة البناء المقارب منه من جهة بنية قوافيه في الأشطار الأربعة:[13]

فـــتن الأنـــام بخـــده ولهيبـــه قمـــر يضـــاعف ذكـــره ولهـــي بـــه

وبمـــا أشـــبه حســـنه وجمالـــه وبـــدائع التشـــبيه شـــأن مغيبـــه

كما أورد بعض المخمسات منها تخميس أحمد الفقيه حسن[الجد] لأبيات ابن الفارض وعرف ديوانه بـ(ديوان السلوك) لغلبة موضوع التصوف على نصوصه فيه:[14]

**شوقي بديوان السلوك تسطرا**

**وحقيقتي دقت فكادت لاترى**

**يامنية المشتاق من دون الورى**

**((زدنـي بفـرض الحـب فيـك تحيـرا وارحـم حشـا بلظـى هـواك تسـعرا))**

وأورد منها أربعة تخميسات منها، وقصيدة ابن الفارض عشرة أبيات، ذكر أستاذي محمد جبران تسع تخميسات تحت أرقام متوالية مع أنها قصيدة واحدة، وقد لحقها النقص في بعض مواضعها[15]، وقال صاحب الشيخ الزاوي: ((وهي طويلة نقتصر منها على هذا القدر الذي يدل على مهارة السيد أحمد في انتقاء المعنى المناسب لما قصد إليه ابن الفارض))[16].

ومما أورده الشيخ من نصوص أحمد الشارف، نصا من البناء التوشيحي على الأبحر الخليلية، ولم يشر إلى أنه موشحة فقال: ((ومن شعره يخاطب الروح:

---

(11) أعلام ليبيا، ص78.

(12) انظر: ديوان الدوبيت العربي في عشرة قرون، د. مصطفى كامل الشيبي، ووزنه الفارسي: مفعولُ، مفاعيلُ، مفاعيلن، فاعْ، أربع مرات، أما المتأخرون من العرب، فوزنه لديهم: فعلن متفاعلن فعولن فعلن، ص58، وفي المعيار في أوزان الأشعار للشنتريني الأندلسي، سمَّاه العميد، ووزنه: مستفعلاتن مستفعلاتن فعل، ص146.

(13) أعلام ليبيا، ص416.

(14) أعلام ليبيا، ص97، والقصيدة في ديوان ابن الفارض، ص169، والتخميس: هو إضافة ثلاث شطرات لبيت سابق، فيصبح النص خمسة شطرات، انظر: ميزان الذهب، ص142.

(15) أحمد الفقيه حسن الجد، ص147، المقطوعات رقم: 88، 89،90، وبعد المراجعة تبين أن الشاعر خمَّس سبعة أبيات من قصيدة ابن الفارض، وكرر تخميس البيت الثامن، وترك البيت الخامس، والسادس، والعاشر، والحادي عشر، وربما يكون خمسها وضاعت مع ما ضاع من آثاره.

(16) أعلام ليبيا، ص98.

**[المطلع = غصنان]**

المطلع غصن **رفرفي في الكون يا أيتها النفس العريقهْ**
غصن **واجمعي الرحلة واستجلي بها نفس الحقيقهْ**

**[الدور= بيت + قفل]**

دور بيت سمط حومي في الكون واستبـ ـقي لدىٰ التنقيب ساعهْ
سمط واسألي الروح التي كا نت علىٰ رأي الجماعهْ
سمط واستزيدي من ذوي التفـ ـكير أصحاب اليراعهْ

**[القفل = غصنان]**

قفل غصن **هل تعودين لمن كا ن لـه عنك فراقْ!؟**
غصن **لك قد كان رفيقا ولـه كانت رفيقهْ**[17]

والنص المختار مكون من مطلع الموشح، ودوره الأول؛ **والمطلع**: يتكون من غصنين، **والدور**: يتكون من بيت، وقفل، **والبيت**: يتكون من ثلاثة أسماط، **والقفل**: يتكون من غصنين، والمطلع والقفل يتفقان في قوافيهما، وعدد أجزائهما، ونوعه من الموشح التام[18].

أما الموضوعات والأغراض فقد كان للشعر الوطني والسياسي مكان في كتاب اعلام ليبيا، فاختار من نصوصه لأكثر من شاعر، منهم: إبراهيم الأسطىٰ عمر، وأحمد قنابة، وأحمد الشارف، وأحمد رفيق المهدوي، ومن مختاراته، قول قنابة:[19]

شتت الله شملهم شتتونا أنهم ظالمون مستعمرونا
أوهموا الناس أننا في انقسام لم نكن وحدة وهم وحدونا
أوهموا الناس أننا في شقاء فأتوا أرضنا ليسعدونا
أوهموا الناس أننا في احتياج ولهم ثروة بها زوَّدونا

كما اعتنىٰ بذكر بعض الأراجيز والمنظومات التي راجت لدىٰ بعض الأدباء، التعلمية منها والتهذيبية منها قول الشاعر مصطفىٰ بن زكري في تهذيبيته المشهورة، المكونة من ستة وأربعين بيتا، ذكرها الشيخ زغوان كاملة في منظومته (المواهب السنية في مناقب الحضرة الأمينية)، وذكر منها الشيخ ثمانية عشر بيتا، وهي التي يقول في مطلعها:[20]

وظائف الإنسان في دنياه أن يعبد الله وأن يخشاه
وأن يكون راضيا بما قضىٰ ولم يكن لحكمه معترضا

(17) أعلام ليبيا، ص90، الديوان، ص414، ط3. [المصلحات من وضع الباحث علىٰ النص].
(18) انظر: فن التوشيح، مصطفىٰ عوض الكريم، 17 -32، 57.
(19) أعلام ليبيا، ص102.
(20) أعلام ليبيا، ص416، الديوان: ص197، ومخطوط المواهب السنية في مناقب الحضرة الأمينية، ص42.

وأعلـم بـأن العلـم نـور وهـدىٰ والجهـل لا يـأتي بخيـر أبـدا
والزهـد فـي العلـم مـن الحرمـان والمـرء بالقلـب وباللسـان
مـن لـم تهذبـه فنـون الوقـت لازال ملحوظـا بعـين المقـت

ومما لايجب إغفاله ما أورده من كلام الزجل الليبي وبخاصة ما أورده من كلام الشريف قنانة، الشاعر الذي عاش في عصر الدولة القره مانلية، فمن ذلك قوله:[21]

تركنـاه وطـن العـز نجلـو منـه بـلا مـال لا هـو فـرض لا هـو سـنه

أما سوف المحمودي وهو زجال مشهور، فلم يذكر للقارئ شيئا من شعره، مع أن الشيخ أثنىٰ علىٰ شعره الزجلي وقيمته الفنية بقوله: ((وكان خصب الخيال قوي الذاكرة ومن نوابغ شعراء البادية وأفصحهم))[22].

ومن المادة الأدبية المثرية تلك الأحكام النقدية التي كان يطلقها الشيخ الزاوي علىٰ النصوص الأدبية التي يوردها، أو الأحكام الخاصة بالأدباء والشعراء، بين الحين والآخر، وهو جانب مهم رأىٰ الباحث تجليته في فن الترجمة لدىٰ الشيخ الزاوي، نستشف من خلاله ذوقه الفني، ونتعرف علىٰ روحه الناقدة.

ومن تلك الأحكام والقضايا النقدية التي نراها في أعلام ليبيا إشارات تخص الثناء علىٰ بعضهم، ووصفهم بألقاب نلمح من خلالها بعض الرؤية النقدية للشيخ الزاوي، ومما يشيد به من ثناء علىٰ نصوصهم، ومن النماذج النقدية قوله في ترجمة ابن مقيل الكبير نقلا عن نفحات النسرين والريحان: ((واشتهر بالذكاء والفصاحة، وجودة الشعر، وسلاسة النثر))[23]. كما نقل عن الكتاب نفسه في ترجمة عبد الكريم النائب قوله: ((وله شعر رائق، وأدب فائق))[24]، وهو نقد مقدم في أكثر من فن من شعر ونثر مع الجودة التي تعد من المعايير النقدية القديمة في النقد الأدبي عند العرب، وهو من النقد التأثري بمتابعة النقدة السابقين في أحكامهم النقدية.

أو حكمه علىٰ الشاعر الحسن بن مروان اللكي: ((كان شاعرا مجيدا، رقيق الإحساس، دقيق الوصف لما تشعر به نفسه))[25]، وخص نقده في الكلمة السابقة إلىٰ الجودة المتعلقة بالعامل النفسي الذي يرجع إلىٰ رقة عواطفه، ودقة وصفه لها[26].

(21) أعلام ليبيا، ص321.
(22) أعلام ليبيا، ص392.
(23) أعلام ليبيا، ص372.
(24) أعلام ليبيا، ص230.
(25) أعلام ليبيا، ص130.
(26) المعجم الأدبي، جبور عبد النور، ص167.

وقوله في شعر علي الأوجلي: ((وله شعر رقيق، وكان كثيرا ما يلهج بشعر أوجلة منتجع شبابه ومرتع أحبابه))[27]، فحكم على شعره بالرقة، ثم بيَّن غلبة غرض الحنين على شعره، لتركه أوجلة وإقامته في مدينة حلب الشهباء من البلاد الشامية.

أو قوله في ترجمة عبد الرحيم الزموري: ((وله شعر رقيق عثرت منه على مرثية رثى بها أستاذه السيد محمد بن علي السنوسي))[28]، إن حكم الشيخ الزاوي على شعره بالرقة ربما يكون مرجعه وقوفه على قصيدة الرثاء؛ لأن غرض الرثاء تلزمه الرقة؛ لما فيه من تعابير تصور خوالج النفس وخاصة في مثل حالة شاعرنا للارتباط الروحي بين الشاعر وأستاذه السنوسي.

وقدم بعض النقود حول أدب مصطفى بن زكري بقوله: ((ولابن زكري في مضمار الأدب جواد لايجارى، وكان ابن زكري حائزا على قصب السبق في دولة الأدب في طرابلس))[29]، وهذا حكم نقدي يحتاج إلى إطلاع واسع تصل إلى القراءات المتعددة لأدب المترجم له، أو يكون نقلا عن ممن كتبوا عنه، أو بالحكم التأثري الجماعي؛ لتقديم شاعر على آخر كما جرى لكثير من الشعراء في القديم والحديث[30].

ومما قدمه بالنقد الإيجابي قوله: ((وله أرجوزة في الوعظ والإرشاد من خير ما كتب في هذا الباب))[31]، والأراجيز من باب النظم لا الشعر، فشعر القضاة والنحاة والفقهاء، قد يدخل في باب المنظوم، لخلوه من رقة الشعراء، وأخيلتهم، في بعض الأحيان، حتى اصطلح بعض النقاد على مثل هذا الأدب بأدب الفقهاء، ولكن نظم الشعراء له ميزة على نظم العلماء، وربما هذا هو السبب الذي جعلها من خير ما كتب في بابها، وهي من النصوص التعليمية التهذيبية لما حملت في طياتها من حكم من رجل مجرب[32].

وإن كان الحكمين السابقين على أدب ابن زكري من النقد الذاتي الانطباعي، فإنه حاول تعليل هذا التقديم والتفوق في أدب بن زكري فقال: ((وإذا علمنا أنه من أصل أندلسي تلك السلالات الطاهرة التي نزحت عن الأندلس سنة 700[هـ]- إذا علمنا هذا – لانستغرب ما نجده في شعره من رقة وصفاء، وتأثير في الروح والمشاعر وإليك شيئا من شعره من ديوانه))[33]، ولو تأملنا النص السابق فإن الشيخ يذهب بتأثير العرق في النتاج الأدبي الذي يقول به بعض النقاد

---

(27) أعلام ليبيا، ص253.

(28) أعلام ليبيا، ص210.

(29) أعلام ليبيا، ص416.

(30) النقد الأدبي عند العرب عيسى العاكوب، ص36 .

(31) أعلام ليبيا، ص416.

(32) انظر: أدب الفقهاء، عبد الله كنون.

(33) ص415، تاريخ خروج الأندلسيين عند سقوط غرناطة هو: الأحد 1 ربيع الأول 897هـ الموافق 1 يناير 1492م، وربما عني الشيخ الهجرات الأندلسية التي سبقت سقوط غرناطة.

القدامىٰ واختصاص بعض الأمم ببعض الأجناس الأدبية دون غيرها، كقول الجاحظ عند حديثه علىٰ مصدر الشعر: ((وإنَّمَا ذلك عن قَدْر ما قَسَمَ اللّه لهم من الحظوظ والغرائزِ والبلاد والأعراقِ مكانها))[34]. كما زاده رفعة بنقد آخر قائلا: ((كان -رحمه الله - شاعر رقيق الشعر يسبق شعره إلىٰ الروح قبل أن يمر بالسمع ويخاطبها من حيث تشعر أو لا تشعر فيُسَرِّي عنها ويسليها))[35]، والنص الأخير بنثره الفني هو نقد أميل إلىٰ التقريظ باستخدام أسلوب فلسفي، مرجعه الإعجاب. وقال شبيهه في حديثه عن أحمد الفقيه حسن الجد: ((وله شعر رقيق تفهمه الأرواح قبل أن تسمعه الآذان))[36]؛ لأن ماهية الشعر من (حديث الروح للأرواح يسري وتدركه القلوب بلا عناء)، كما قال محمد إقبال المفكر الباكستاني، وتغنت به كوكب الشرق أم كلثوم.

وحدد في ترجمته للشاعر أحمد قنابة خطوط نقدية عدة قائلا: ((يقول الشعر سجية لايتكلفه، وله ملكة قوية في اختيار الألفاظ الصحيحة العربية القوية المعنىٰ))[37]، فالمعايير السابقة السجية التي ترادف الطبع المضاد للتكلف[38]، والملكة الشعرية التي تختلف من شاعر إلىٰ شاعر، وهي السبب في قوة شعر الشاعر وضعفه، وركوبه للمطولات أو المتوسطات، والقصار أو يبقىٰ يحوم حول حمىٰ المقطعات والنتف[39].

كما عرض الشيخ الزاوي لقضية اللفظ والمعنىٰ التي تعد من أهم قضايا النقد العربي القديم، وهما ركنان من أركان قضية عمود الشعر العربي، ثم قال عنه يؤكد كلامه السابق: ((يمتاز شعره بسلاسة اللفظ، وحسن التصوير، وبالميل إلىٰ الحكمة والفلسفة))[40]، وفي كلمته الأخيرة تعرض إلىٰ سلاسة اللفظ من جهة عذوبته، وسهولة مخارج حروفه، وهي من فصاحة الكلمة، وإحسان تصويره من أركان عمود الشعر في المقاربة في التشبيه، وصحة الاستعارة، وهما من متعلقات الخيال[41]، وختمها بالحديث عن الأغراض الشعرية من جنوح الشاعر إلىٰ غرضي الحكمة والفلسفة، كشعر زهير بن أبي سلمىٰ، وأبي العتاهية، والمعري، وابن الرومي، والمتنبي وغيرهم، وربما عني أمرا آخر وهو أن الشاعر يذهب مذهب أبي تمام في شعره فيستغلق علىٰ القراء، وهو غموض المعاني[42].

---

(34) الحيوان، الجاحظ: 380/4 وغيرها.

(35) أعلام ليبيا، ص415.

(36) أعلام ليبيا، ص97.

(37) أعلام ليبيا، ص101.

(38) الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ص45.

(39) منهاج البلغاء، القرطاجني، ص199.

(40) أعلام ليبيا، ص101.

(41) تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس،ص398.

(42) غموض الشعر، انظر حازم القرطاجني، ص172.

وقال عن سجية أحمد رفيق وفطريته وطبعه ما نصه: ((وصحبه الشعر منذ نعومة أظفاره، ووجد إلى نفسه طريقا معبدا، فاندفع إليها اندفاع السيل الجارف، وباض فيها وأفرخ، وصار أحمد رفيق ينفق منه على المناسبات ومقتضيات الأحوال، لا تكلفه إلا أن يفتح فاه، فتتدفق منه سبائك الألفاظ، وجواهر المعاني، حتى إذا أَلبس الحوادث من شعره ثوبا لا طول فيه ولاعرض أطبق فاه على كثير من كنوزه الشعرية ينتظر به من حوادث وظروف الحياة ما يكسوه به ثوب العزة والفخار، أو ما يرسله عليه صواعق ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم))[43]، ففي نصه السابق نظرات نقدية رائعة وإن نسجها المؤلف بنثره الفني؛ فتحدث عن قدم التجربة الشعرية لدى الشاعر، وطبعه مع طول نفسه الشعرية العائدة من الملكة الفطرية، وقوة تأثير شعر الشاعر في الأحداث فيرفع بشعره ممدوحيه في السماك الأعزل، ويحط به مهجويه في الحضيض الأسفل، وهذا أمر قديم منذ عصر الجاهلية[44].

ومن نظراته النقديه ما قدمه لشعر أحمد ابن شتوان قائلا: ((ويلمس القراء في بعض قصائده مسحة من الشعر الجاهلي في غرابة اللفظ، وقوة المعنى))[45]، وهذه دلالة على محافظة الشاعر على قوانين عمود الشعر العربي وعمق اتصاله بتراثه العربي التليد في عصور قوته الأدبية.

وقال في ترجمة الطاهر بن عبد الرزاق البشتي: ((كان له بعض مقطوعات شعرية غاية الجودة ضاعت فيما ضاع من كتبه أيام الجلاء الذي حدث لسكان الزاوية أثناء حروبهم مع الطليان وقد عثرنا منها على هذه الأبيات القليلة يتغزل بها في الشاي))[46]، وهذا الشاعر مما يبدو أنه من شعراء المقطعات لا القصائد، وهو حكم نقدي يكثر عند النقاد، مثل تقديم النقاد لمقطعات أبي تمام عن قصائده، وقد ذهب ابن رشيق في العمدة في بيان وصف الشاعر بقوله: ((والشاعر إذا قَطَّعَ، وقصَّدَ، ورَجَزَ؛ فهو الكامل))[47]؛ أي: إذا نظم المقطعات، والقصائد، والأراجيز.

وفي حديثه عن أحمد الفقيه حسن (الجد) قال: ((وله ديوان شعر وإن كان صغير الحجم لكن فيه من رقيق الشعر ما يدل على ذوق وأدب ناضج وخيال خصب))[48]، وهنا نراه يذهب إلى مذهب الكم والكيف فليس الشاعرية بالكثرة وإنما تكون بالإجادة فنلتمس قيمة الشاعر الفنية من قصيدة أحيانا وقد قيل بهذا الحكم في بعض قصائد أبي تمام في الرثاء قال عنها بعض النقاد ولو لم يكن لديه سواها لجعلته في مقدمة الشعراء[49]، كما يحكم للشاعر من القصيدة والقصيدتين

(43) أعلام ليبيا، ص78.

(44) في أدب ما قبل الإسلام، د. محمد عثمان علي، ص105.

(45) أعلام ليبيا، ص70.

(46) أعلام ليبيا، ص179.

(47) العمدة في محاسن الشعر ونقده، ابن رشيق القيرواني: 189/1.

(48) أعلام ليبيا، ص96.

(49)انظر: الأغاني، أبو فرج الأصفهاني: 418/16.

بشاعريته وتقدمه على غيره، ويستدل على طبقته الفنية، كما ذهب عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم في كتابه دلائل الإعجاز، عند حديثه عن أحوال الجمال النظمي[50]، كما تحدث الشيخ عن معيار النضج الذي له علاقة بالتجربة الشعرية الخاصة لدى الشاعر كانت شخصية أوإنسانية، وأضاف إليه معيار خصوبة الخيال الذي يجب أن يتوفر في الصور الفنية وصحتها وجودتها في شعر الشاعر، فلا تجد غرابة في التشبيه يحتاج إلى تفكير، أو استعارة بعيدة.

ومن أحكامه النقدية التي توج به الشاعر أحمد الشارف قائلا: (( شاعر ليبيا غير مدافَع))[51]، ثم قال عنه في موضع آخر من ترجمته: ((ولجودة شعره وإعجاب الناس به، واحتراما لمكانته الأدبية سماه مواطنوه شيخ الشعراء وشاعر ليبيا، وكانت هذه التسمية على جدارة واستحقاق))[52]، وهذا الحكم ربما يكون مرجعه الحكم الجماعي التأثري لما شاع من شعره بين الناس وتأثير أخلاق الشاعر من ديانة وصيانة وعدل في الناس فأحبوه وأعجبوا بأدبه.

وقال في أحمد رفيق المهدوي:((الشاعر المبدع والأديب البارع، شاعر الوطنية))[53]، فالإبداع والبراعة من الأحكام النقدية التي إذا أطلقت ميزت الشاعر عن أقرانه من الشعراء، ثم خصه بتفوقه في غرض من الأغراض المحدثة وهو غرض الوطنية من محبة لوطنه والدفاع عنه بكل ما أوتي من قوة، وتحميس الشعب وتنبيههم لما يقع على وطنهم من مؤامرات دنئية وخسيسة من قبل أعداء الوطن من أبنائه ومن غيرهم، قال الشيخ الزاوي مبينا ذلك: ((ولقد ضرب رفيق بشعره في كل ناحية تعبر عن ألم، أو تدعو إلى كرامة، أو تشحذ العزيمة، أو تنوه بشأن الوطن، أو تدعو إلى رفعة شأنه، والدفاع عنه))[54].

وقال في ترجمة أحمد بن شتوان: ((العلامة الفاضل الأديب البارع، الشاعر الممتاز))[55]، ترى أن الشيخ يعبر بمعيار جديد وهو الامتياز، ووهو معيار لم يستخدمه النقاد القدامى، وكذلك قوله في ترجمة أحمد قنابة: ((الشاعر المُلْهَم))[56]، ولفظة الملهم من الأحكام النقدية؛ إذ لم ترد عند النقاد العرب القدامي في مدوناتهم النقدية، فالشاعر لديهم يوصف بالفحل، والمفلق وغير ذلك[57]، والشاعر الملهم: هو من يأتي بالصور اللطيفة العجيبة يقتنصها من حيث لاتدري

(50) انظر: دلائل الإعجاز،ص88، تحقيق: محمود محمد شاكر، انظر: التفكير النقدي عند العرب، د. عيسى العاكوب ص304.
(51) أعلام ليبيا، ص88.
(52) أعلام ليبيا، ص90.
(53) أعلام ليبيا، ص76.
(54) أعلام ليبيا، ص76.
(55) أعلام ليبيا، ص68.
(56) أعلام ليبيا، ص100.
(57) انظر:المعجم الأدبي، جبور عبد النور، ص145، معجم المصلحات العربية، مجدي وهبة، كامل المهندس، ص60.

بإحداث المفاجأة للمتلقي، مما يضفي على شعره كثيرا من الجماليات الحسية المعنوية، من رقة الأحاسيس ورهف المشاعر.

وقال في ترجمة الشيخ محمد الضاوي: ((ومن مؤلفاته: تخميسه للبردة، ولامية ابن الوردي، والهمزية، وله قصائد كثيرة في الوعظ والإرشاد؛ لأنه كان مولعا بهذا الباب))[58]، ومن نصه السابق نقف على معيار الكثرة معللا سببها؛ وهو ولوع الشاعر بموضوعها، ومرجع هذا الولوع كون الشاعر كان فقيها وعالما من علماء السيرة النبوية، ومن رجال التصوف البارزين في طرابلس، وهو سبب وجيه؛ لكثرة نظم المواعظ وتخميس المدائح التي يرتجى بها الفوز في الآخرة.

وقد ذكر في بعض عناوين التراجم بعض الصفات النقدية، منها قوله:(( أبو الحسن الوداني: "الشاعر المشهور"))[59]، ومع شهرته لاتوجد له ترجمة وافية، وهذه الظاهرة وقعت مع كثير مما كانوا مشاهير في عصورهم، والشهرة حجبت المؤلفون أن يسطروا ويدبجوا تراجمهم ويطيلوا الحديث عنهم.

أما النظم الشعبي فلم يكن لأصحابه أثر كبير في هذا الكتاب ولسنا ندري ما سبب ذلك، ولكنه ذكر لنا من أعلامه قامتان سامقتان لهم الشهرة والتقدم أولهما الشريف قنانة: ((شاعر موهوب من النوابغ في الشعر الشعبي،...، يحمل شعره من المعاني الكثيرة، والحكم البليغة، والأمثال السائرة، ما حمل الناس على روايته بشوق وعناية، وله رواة في الشمال الإفريقي كثيرون، يرويه الحضري في مدينته، والبدوي في باديته))[60]، وهي كلمة نقدية رائعة في حق الشريف قنانة، وهو يحمل في طياته بعض ما في عمود الشعر العربي[61] لتميز الشاعر عن غيره، فقوة المعاني وكثرة الأمثال والحكم، والأبيات الشاردة، وكثرة الرواة الدالة على الشهرة، واعتناء الناس به بدوا وحضرا. والثاني حكمه النقدي الذي خص به محمد سوف المحمودي قائلا: ((وكان خصب الخيال قوي الذاكرة من نوابغ شعراء البادية وأفصحهم))[62]، وخصوبة الخيال هي الجالبة للصور الشعرية المختلفة والمتنوعة، وللأدب الشعبي صوره الخاصة به المرتبطة غالبا ببيئة الشاعر وما فيها، وأثنى على الشاعر كونه نابغة في مجاله فصيحا في زجله، والفصاحة في الأدب الشعبي لها مقوماته يعرفها أهلها من ذوي الشأن.

تلك هي بعض النظرات النقدية التي تمثل الرؤية النقدي عند الزاوي، كوَّن من خلالها لنفسه مفهوما نقديا يتشابه مع بعض النقاد، نتبين منها الروح الفاحصة لما يقرأ، متدبرا لفحوى النص

(58) أعلام ليبيا، ص396.

(59) أعلام ليبيا، ص37.

(60) أعلام ليبيا، ص320.

(61) انظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس،ص398، شرح المقدمة الأدبية، الشيخ الطاهر بن عاشور.

(62) أعلام ليبيا، ص392.

الأدبي، مكتشفا خفايا بعض النصوص، وملحوظاته الدقيقة عليها، وإن كان مقلا فيها بأسلوبه الموجز، وهي غالبا ما كانت أحكاما نقدية ذاتية انطباعية ليست موضوعية؛ لأنها لم تنتج عن الاستقراء، والتحليل، والدراسة، والموازنة، ولو أطال فيها لربما كان من المقدمين في مجال النقد الأدبي، ولو من خلال كتابه أعلام ليبيا، تلك بعض النظرات النقدية التي جاءت موزعة على صفحات الكتاب، كما لانغفل جانب الاختيار الأدبي التي جاء في أعلام ليبيا، والذي يعده بعض النقاد جانباً مهما من النقد التطبيقي الأدبي، والذي يستدل منه على العقلية النقدية لصاحب الاختيار، واختلاف المعايير فيه، كالفني، والتعليمي، والتربوي، والإمتاع والمؤانسة، وهي بخلاف التنظير في مجال النقد الأدبي، فكان ذلك كله مبثوثا ومنثورا على صفحات الكتاب.

وأخيرا هذه جولة مع النقد والأدب في كتاب أعلام ليبيا خاضها الباحث آملا أن تجد في نفوس القراء القبول.

## المصادر والمراجع

**أولا= المخطوطات:**

1- ألفية المواهب السنية في مناقب الحضرة الأمينية، منظومة في مناقب الشيخ محمد الأمين العالم (ت1922م)، تأليف الشيخ محمد بن على زغوان، بخط الشيخ محمد صباكه، لا ت

2- سفينة الأفراح مجموع قصائد الشيخ الميلادي[الشيخ جمال الدين الميلادي]،نسخة منقولة عن كراس السيد إبراهيم كامل أفندي المشهور بكامل بطاطا، نقلها عنه الشيخ محمد التريكي، ثم نقلها عنه الشيخ سليمان بن حمزة، ثم نقلها عنه أ. عبد السلام بريش، ثم اشترك في نقلها عنه وتوزيعها على المهتمين بهذا التراث كل من أ. عبد الرحمن قنيوه، أ.سعيد جمهور، أ. عمر معتوق اللافي.

**ثانيا- المطبوعات:**

1- أحمد الفقيه حسن ( الجد ) وماتبقى من آثاره، (دراسة وتحقيق)، د. محمد مسعود جبران، منشورات مركز جهاد الليبين، طرابلس.

2- أدب الفقهاء، عبد الله كنون، دار الكتاب اللبناني،ط2، 1404هـ، 1984م.

3- الأصول في النحو ابن السراج البغدادي، تحقيق د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة،ط3، 1408هـ-1988م

4- أعـلام ليبيا، الطاهر أحمد الزاوي الطرابلسي، ط2، 1390 هـ- 1971م. مؤسسة الفرجاني، طرابلس. ليبيا.

5- الأغاني، أبو فرج الأصفهاني، شرحه وكتب هوامشه، أ. علي مهنًا، أ. سمير جابر، دار الفكر، بيروت، طبعة جديدة ومنقحة، لات.

6- تاريخ النقد الأدبي عند العرب، إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت لبنان، ط3، 1401هـ، 1981م.

7- التفكير النقدي عند العرب، د. عيسى العاكوب، دار الفكر، بيروت، دمشق،إعادة ط1، 1423هـ-2002م.

8- الحيوان، عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق أ. عبد السلام محمد هارون، الناشر دار الجيل، بيروت- لبنان، لاط، 1416هـ - 1996م

9- دار الطراز في عمل الموشحات، ابن سناء الملك، تحقيق، جودت الركابي، دمشق، لاط، 1949م.

10- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة الأسرة 2000، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

11- ديوان الدوبيت في الشعر العربي في عشرة قرون، د.كامل مصطفى الشيبي، لا.ط، 1392هـ – 1972م، منشورات الجامعة الليبية، كلية التربية-طرابلس

12- ديوان الشافعي، تدقيق وتعليق، صالح الشاعر، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 1413هـ 2006م.

13- ديوان ابن الفارض، دار صادر، بيروت، لاط، لات.

14- شرح المقدمة الأدبية، الشيخ الطاهر بن عاشور، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، ط2، 1398هـ- 1978م.

15- الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري، تحقيق أحمد شاكر ط 3، القاهرة، 1977م

16- فن التوشيح، مصطفى عوض الكريم، دار الثقافة، بيروت – لبنان، ط2، 1974م.

17- في أدب ما قبل الإسلام، د. محمد عثمان علي، مكتبة طرابلس العلمية العالمية،ط4، 1994م

18- منهاج البلغاء وسراج الأدباء حازم القرطاجني، تحقيق: الشيخ محمد الحبيب بالخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1986م

19- العمدة في محاسن الشعر ونقده، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت– لبنان، ط4،1981م.

20- المعجم الأدبي، جبور عبد النور، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1984م.

21- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبه، كامل المهندس، مكتبة لبنان، ط2، 1984م.

22- المعيار في أوزان الأشعار والكافي في علم القوافي، لأبي بكر محمد الشنتريني الأندلسي، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، مكتبة دار الملاح، ط3، 1400هـ - 1979م.

23- ميزان الذهب في معرفة أشعار العرب، السيد أحمد الهاشمي،تحقيق: حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1418هـ- 1997م.

24- نقد الشعر، قدامة بن جعفر،تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، لا.ط، لات.

**ثالثا- الدوريات:**

1- مجلة اللسان المبين، قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة طرابلس-ليبيا، العدد الثامن، 2012م.

2- مجلة اللسان المبين، قسم اللغة العربية – كلية الآداب – جامعة طرابلس-ليبيا، العدد التاسع، 2013م.